

غادة بابل

La Belle de Babylone.

—٥—

بعد انقضاء أيام العيد، غادر شمشو بابل في قافلة فيها رجال ونساء ومعهم
اثقال وبضائع محملة على حمير وبغال وجمال، وبينها خيسام تضرب وقت حط
الرجال فيلجأ إليها المسافرون اذ لا منازل او خانات مشيدة هناك. واخذ المسافرون
معهم زاداً وادوات طبخ، وكان السفر مؤثماً مطرباً لاعتدال الهواء وانتعاش
الطبيعة بقسوم الربيع الزاهر ووشيم الأرض بحلل سنمية وازهار ورياحين
تعطر الفضاء بشذاها.

مرت القافلة بجنان خضرة كانت في ضواحي المدينة تتخللها فسحات لزراعة
البقول. وكانت تسقى تلك المزروعات من ترعة تشعب من القرات، إلا ان
الماء لا يبلغ الى المرتفعات من اراضي تلك الجنات عفاوا بل ترفع آلة وهي سلة
مخروطة الشكل تتخذ من خوص النخل وتطلى بالقار ومربوطة بحبل يتصل
طرفاه بسلة مرتكزة على قائمة منتصبة على ضفة التربة فتبسط السلة في الماء ثم
يرفعها الرجل الساقى ويغرفها بيده في ساقية تصرف الماء الى المزارع (١)

سأل شمشو احد فلاحي تلك الديار: لمن هذه الجنيحة؟

فاجابه الفلاح: ان الأرض ملك نبو نصراني وقد اخذها منه بالمفارسة
«نبول شماء» لمدة اربع سنوات وفي السنة الخامسة تقسم مناصفة بين الملاك
والمفارس (٢) وهذه هي السنة الاخيرة من ذلك العقد.

شمشو - ولماذا ترك قسم مهم منها بورا الا يعلم نبول شماء ان القسم البور
يقع في حصته عند القسمة (٣)

(١) تسمى في العربية القصوى «الترفة» وفي لسان البصريين العصريين «السلة»
وفي مصر «الشادوف». (٢) المادة ٦٠ من شرائع حرب.
(٣) المادة ٦٦ من شرائع حرب.

الفلاح - يعلم ذلك « نوبل شماء » كل العلم ولكنه ماذا يعمل فان
 الفلاح الذي كان عنده قبل سنتين ، فتح في ابان القيص سنة الري ففرق باعماله
 هذا مزارع الجيران فاضطر الى ان يدفع اليهم قمحا بمقدار يناسب فلات
 المزارع في هذه المنطقة (١) فكلفه ذلك مالا مما اعاقه من القيام بغير هذه
 الارض .

بلغت القافلة عند الهجرة محلا وارف الظل ، فاقترح شمشو على المحكم
 (رئيس القافلة) ان يوقفها هناك هنية للاكل والاستراحة ، فخللوا الى ظل
 شجر توت كان يغطي آلة سقي تختلف عن تلك التي شاهدوها في الجنان القريبة .
 تقوم تلك الآلة على مرتفع من الارض لا يبلغه الماء حتى في ابان القيصان
 وقد حفرت هناك بئر او حفرة يدخلها الماء من النهر او ينبع فيها نبعاً وعلى حافة
 هذه البئر زرائيق او اسناد من جنوع النخل يعلو البكرات التي تتخذ للسقي وتجمع
 هذه الزرائيق من اعلاها بنعامات وهي عوارض من الجنوع ايضا تشد بحبال
 من الياف النخل . وبين ذرنوق وذرنوق تتركب بحالة اي بكرة على قبين والقب
 الثقب يجري فيه المحور ويعبر على كل بكرة حبل يشد طرفه بالمرقوتين (وهما
 خشبتان تمرضان على الدلو كالصليب) وتتخذ الدلو من جلد مدبوغ والطرف
 الاخر من الرشاء يشد بثور او بمرتوت ويربط مؤخر الدلو - وهو ضيق
 كقوة القرية بسير ويمر هذا السير على نحو مغزل او قل بكرة مرتفعة بضعة
 سنتيمترات عن الارض . وينتهي الى الثور فيرتبط به ويختلف عدد الثيران او
 البرافين بعدد البكرات والدلاء . ولكل حيوان من هذه الحيوانات فلاح يداويه
 فينزل الفلاح مع الحيوان في حفرة منحطرة من الارض حبال البئر فاذا بلغ منتهاها
 يفرغ الماء الذي في الدلو في حوض ويتسرب من هناك الى المزارع . ثم يصعد
 الرجل بالحيوان الى رأس تلك الحفرة فيصعد آتشد الدلو في البئر وتمتلئ ماء
 وهكذا دواليك (٢)

(١) المادة ٥٥ من شرائع حرب . (٢) هذا وصف الكرد للزرافة منذ عهد البابليين
 حتى اليوم في العراق وهو الذي سماه العرب «السانية» من باب التوسيع لان السانية في الاصل
 القرب وادائه والنافاة التي يستقى عليها وقد اثبت على وصفها في هذه الرواية لانه اخذ
 بالزوال من العراق باتخاذ المضخات التي تديرها المحركات .

وبعد ان اغتسلوا مما لحقهم من غبار الطريق واكلوا هنيئا وشربوا مريئا استأنفوا السير فلاقوا في طريقهم قطعانا من الغنم والمعزى والبقر تسرح في المروج والحقول وشاهدوا مساكن الرعاة وهي خيام من شعر المعزى فكانوا يضرِبونها حيث يستريحون لاتجاع المراعي ويطوونها ويعملونها حين الظن . ورأوا مساكن الفلاحين وهي من مدر . فنزل القفل على مقربة من تلك الجماعة وهي المرحلة الاولى من السفر .

وكان الرعاة يراقبون عن كثب قطعانهم ويزمرون لها .

كانت عيشة تلك الجماعة البدوية من الفلاحين والرعاة مشهدا من مشاهد الحياة الطبيعية الساذجة التي يصبو اليها سكان المدن من حين لآخر . فافتتن بها شمشو وتذكر ايام كانت اراضيها عامرة فشرع يجول في الحي ليسري منه ما لم به من الذكرى الموجعة وما اوجع ذكرى ايام الرخاء في الضيق !

كان يلهي نفسه تأولا بمشهد الحلايين والحلابات الذين يحلبون البقر والغنم وهم جاثمون وراء تلك الحيوانات على الطريقة المسالوفة عندهم يومئذ وطورا يقف عند الفسلاحين الذين يخبزون اقراص الخنطة والشعير والذرة في تنور ويسدون طمام المساء في قنر كبيرة .

وبينما هو يجول قامت مشجرة بين راع من الرعاة واحد الزراع لان الراعي ادخل قطيعه في المزرعة فالتف شيئا غير يسير من القمح . فتسابا وتشتاما وتلاكما وتدخل في الامر اصحاب المتخاصمين فكان كل فريق ينتصر لصاحبه وكلت فجوة الشر تنسع لولم يتوسط في اطفاء نار الفتنة بعض العقلاء والطاهنين في السن واتفقوا على ان يعقلوا لجنة تحكيم يرأسها شمشو الذي كان معروفا عندهم .

فاجتمعت تلك اللجنة حالا وحكم شمشو بان يعطي الراعي للزراع عشرين « جورا » من القمح لكل « جان » من الارض ترمي غنمه فيها (١)

لها تلو يوسف غنيمة

لها تلو